

صيد الخاطر

112 - - فصل : احذر الصديق قبل العدو .

من أعظم الغلط الثقة بالناس و الاسترسال إلى الأصدقاء فإن أشد الأعداء و أكثرهم أذى الصديق المنقلب عدوا لأنه قد اطلع على خفي السر .
قال الشاعر :

(احذر عدوك مرة ... و إحذر صديقك ألف مرة) .

(فلربما إنقلب الص ... ديق فكان أعلم بالمضرة) .

و أعلم أن من الأمر الموضوع في النفوس الحسد على النعم أو الغبطة و حب الرفعة فإذا رآك من يعتقدك مثلاً له و قد ارتقيت عليه فلا بد أن يتأثر و ربما حسد .

فإن إخوة يوسف عليهم السلام من هذا الجنس جرى لهم ما شأنهم .

فإن قلت : كيف يبقى الإنسان بلا صديق ؟ قلت لك أترك ما تعلم أن المجانس يحسد و أن أكثر العوام يعتقدون في العالم أنه لا يتسم و لا يتناول من شهوات الدنيا شيئاً فإذا رأوا بعض انبساطه في المباح هبط من أعينهم فإذا كانت هذه حالة العوام و تلك حالة الخواص فمع من تكون المعاشرة ؟ .

لا بل و لا ما تصح المعاشرة مع النفس لأنها متلونة و ليس إلا المداراة للخلق و الإحتراز منهم و اتخاذ المعارف من غير طمع في صديق صادق فإن ندر فليكن غير مماثل لأن الحسد إليه أسبق و ليكن مرتفعاً عن رتبة العوام غير طامع في نيل مقامك .

و إن كانت معاشرة هذا لا تشفي لأن المعاشرة ينبغي أن تكون بين العلماء للمجانس فلزمهم من الإرشادات في المخالطة ما تطيب به المجالسة و لكن لا سبيل إلى الوصال .

و مثل هذه الحال أنك إن استخدمت الأذكىاء عرفوا باطنك و إن استخدمت الأبله إنعكست مقاصدك .

فاجعل الأذكىاء لحوائجك الخارجة و البله لحوائجك في منزلك لئلا يعلموا أسرارك و أقنع من الأصدقاء بمن وصفته لك ثم لا تلقه إلا متدرعاً درع الحذر و لا تطلعه على باطن يمكن أن يستتر عنه و كن كما يقال عن الذئب : .

(ينام بإحدى مقلتيه و يتقي ... بأخرى الأعادي فهو يقطن هاجع)